

الحرب العالمية الأولى

- ١ -

أثار اعلان الحرب قلق بريطانيا ومخاوفها على مصالحها في الشرق ، بعد ان أظهرت الفئة الحاكمة في تركيا ، منذ بداية حكمها ، ميلا شديدا نحو المانيا . وهذا ما ازعج الحكومة البريطانية ، لانها كانت تأمل ان تلقى خلاف ذلك ، سيما بعد ان تغلبت على الكثير من القضايا المختلف عليها ، فوجدت لها حولا صالحة لكلى البلدين ؛ حتى ان الحكومة التركية استخدمت قبيل اعلان الحرب عددا من الخبراء الانكليز في مختلف دوائر الدولة . واذا ما ادهش موقف تركيا في الحرب الرأى العام البريطانى ، وأثار استيائه ، فذلك لاعتماده على الصداقة التركية البريطانية التقليدية ، وان أخذت تلك الصداقة بالضعف منذ عهد بعيد . فقد اتسعت الفجوة بين البلدين ، بعدما احتلت بريطانيا جزيرة قبرص ، وزاد فيها احتلال بريطانيا لمصر . وضاعف فى التباعد بين البلدين ، اصرار السياسة البريطانية على تقييد حقوق تركيا فى مصر ، وممالئة روسيا ، عدوة تركيا القديمة ، فى موقفها من تركيا . وكيف يستطيع الحلفاء تقديم عروض مغرية لتركيا بعد مواقفهم السابقة منها ؟ لقد أعطت بريطانيا وفرنسا وروسيا للسلطان تأكيداتهم بانه فى حالة بقاء تركيا على الحياد فسوف يحترمون استقلالها ، ومقامها طوال مدة الحرب

وسوف ينص على ذلك عند التسوية النهائية في ختام الحرب • غير ان الاتراك لم ينسوا بعدما اعطيت لهم من تأكيدات عند بدء الحرب البلقانية ، بان الدول العظمى لن تعترف بأى احتلال يقع على أجزاء البلاد التركية • ولكن سرعان ما نسى الحلفاء وعودهم وتأكيداتهم بعد انتهاء الحرب البلقانية •

[وكانت بعثة بريطانية تقوم بتدريب البحرية التركية يومذاك • ولكن البحرية في تركيا لم تكن من القوى الهامة التى يعتمد عليها ، بخلاف ما كان عليه الجيش التركى • فكان الاعتماد كله يقع عليه وحده • وكان الجيش في حالة غليان ، لينتقم لنفسه مما اصابه من فشل في حروبه مع الايطاليين والبلقان • ويعزى اندفاع الجيش نحو الالمان ، الى قيام ضباط الالمان بتدريبه منذ نيف وثلاثين عاما ، وللاعتقاد السائد لدى قادة الاتراك بان الجيش الالمانى لن يخسر الحرب] ، ولهذا أرادت تركيا ان تكون بجانب الجبهة الغالبة • أضاف الى ذلك ان الاتحاديين ، وان كانوا ينادون بالطورانية ويسعون لتحقيقها ، فانهم كانوا استعماريى النزعة • وقد وعدهم الالمان باعادة الاراضى التى سبق للبريطانيين والفرنسيين والروس ان سلبوها من جسم الدولة العثمانية • وربما كان قيام الدول المركزية بالتنازل عن امتيازاتهم الاجنبية رشوة أغرت الاتراك للانضمام الى جانبهم • وعلى كل حال فانه في ايلول من عام ١٩١٤ أعلنت الحكومة التركية الغاء الامتيازات الاجنبية ولم يكن للحلفاء بد من قبول ذلك الالغاء على مضض •

وعرف بعد ذلك ان تركيا كانت مرتبطة مع المانيا بحلف تم التوصل اليه في الثانى من شهر آب • وكما أظهرت الحوادث بعد ذلك ان الحلفاء أحسنوا صنعا بعرقلتهم دخول تركيا الحرب طيلة أشهر ثلاثة بعد اعلانها • ففي خلال تلك الفترة قامت الحكومة البريطانية ، بممارسة لحقوقها المشروعة

فى مثل هذه الاحوال ، بمصادرة بارجتين حربيتين كانتا تبنى فى المعامل
البريطانية لحساب تركيا . ولما كان الجمهور التركى هو المساهم فى بناء تلك
البارجتين فان عمل بريطانيا ، دعى الفئة المتعصبة للحرب من اعضاء الحكومة
التركية لان يستغلها فى دعايتها للحرب . وتقدم الالمان الى تعويض الاتراك
عن خسارتهم تلك بتقديمهم بارجتين سبق ان فرتا من الاسطول البريطانى
والتجأتا الى الدردنيل تلك هى غوبن^(١) وبرسلو^(٢) . ولكى تتفادى الحكومة
التركية تجريد تلك البارجتين من السلاح أدعت انها اشترتهما من الحكومة
الالمانية . ومع ذلك فقد بقيت البارجتان تحت أمره ضباط وملاحين المان ،
وقامت بحركات كبيرة هامة خلال الحرب . وبالإضافة الى ذلك فان الالمان
كانوا يشرفون على الاسطول التركى . وفى نهاية تشرين الاول قامت
المدمرات التركية بأمره ضابط المانى ، وبايعاز من الاميرالية الالمانية بقصف
الموانئ الروسية فى البحر الأسود ، العمل الذى أجبر الحلفاء على اعلان
الحرب على تركيا .

- ٢ -

أوجدت الحرب وضعاً غير طبعى فى كل من مصر وقبرص حيث كانت
القوة المحتلة فى حالة حرب مع الدولة ذات السيادة والتي يجب ان يخضع
لها سكان كلى البلدين . وتفاديا لهذا الوضع الشاذ ، قضت بريطانيا بالحاق
قبرص بالامبراطورية البريطانية ، وباعلان حمايتها على مصر . وكان من
شأن هذا الحل ، وان برره الوضع غير الطبعى ، ان أثار انتقاد حلفاء بريطانيا
ودفعهم للمطالبة بنصبيهم .

Breslou.

(٢)

Goeben.

(١)

ان التأييد الذى منحه جيل من الساسة البريطانيين لتركيا ، مع ما كان فيها من فوضى فى الادارة وسوء فى معاملة الرعايا المسيحيين ، كانت له مبرراته . على ان ما حدث من أحداث معقدة بعد ذلك أدت الى تقطيع أجزاء الامبراطورية العثمانية ، ومساهمة بريطانيا فى تلك الاحداث هى التى أوجدت القطيعة بين الامبراطوريتين . فلكسب تأييد اليونانيين عند بداية الحرب ، عرض الحلفاء على اليونان القسم الشمالى من مقاطعة ايروص أولا ، ثم منحوها امتيازات اقليمية واسعة على شواطىء آسيا الصغرى . وأخيرا فى تشرين الاول من عام ١٩١٥ عرضت بريطانيا جزيرة قبرص على اليونان مقابل معاونتها للمصرى . ولكن اليونان رفضت جميع هذه العروض المغرية . فلما تبدل الوضع فى اليونان ، وجاء فنزيلوس^(١) الى الحكم ، تقدمت اليونان الى الحلفاء عارضة تخصيص ثلاث فرق من المشاة تقوم بمساعدة البحرية البريطانية لاختراقها الدردنيل . واضطرت بريطانيا لرفض هذا العرض الهام ، لان روسيا التى سبق ان وعدتها بريطانيا وفرنسا بمنحها القسطنطينية ، عارضت بشدة طلب اليونان . وفى عام ١٩١٧ عرضت ايطاليا وازمير على ايطاليا تنفيذ لاتفاق الحلفاء فى سنت جين دوموريين^(٢) . وقيل موقعة غاليلولى اقترح ان تقوم قوة بريطانيا باحتلال المنطقة القريبة من الاسكندرون ، لقطع خطوط المواصلات التركية بين تركيا ومصر وبينها وبين العراق . وكان لهذا الحادث سابقة تاريخية ، كانت ذات أهمية بالغة فى حماية مدينة القدس ، عندما احتل الصليبيون مدينة ايديسا (اورفا) فى حملتهم الاولى . لكن احتلال الجيش البريطانى لتلك المنطقة لم يرض الفرنسيين الذين اعلنوا ان مثل هذا العمل يعد عملا عدائيا موجها ضدهم . سيما وان السياسة الفرنسية كانت تقضى

St. Jean de Maurienne. (٢)

M. Venizelos. (١)

بالحيلولة دون اقتراب احدى الدول نحو سوريا •

- ٣ -

وكان موقف الاقطار العربية التي كانت جزءا من الامبراطورية التركية سببا في خلق مشاكل لم يحل بعضها حلا كاملا حتى أيامنا هذه • وتتعلق تلك المشاكل ببناء تلك المناطق ، وباولئك الذين نصبوا أنفسهم لزعامة سكان تلك الاقطار ، وأخيرا باليهود الذين كونوا اسرائيل • ولو تم جمع المعنيين بالامر معا في مؤتمر واحد ، لكان في الامكان التوصل الى اتفاق مقبول لدى الجميع • لكن الظروف القائمة يومئذ ، فرضت اتباع غير هذا الاسلوب في حل تلك المشاكل • فعندما ارسل اللورد كشرن رسالة الى الحسين ، شريف مكة ، تؤيد الحرب ، مذكرا اياه بالمحادثات التي جرت قبيل ذلك ، وطلباً اليه تحديد السياسة التي سينتهجها اذا ما اشتركت تركيا في حرب ضد الحلفاء ، لم تكن الحكومة البريطانية تفكر بسياسة صهيونية أزاء فلسطين • على ان اشترك الفرنسيين والروس في الحرب كان سببا لتأخير المفاوضات البريطانية مع العرب مدة طويلة • وكانت الحكومة البريطانية تهدف من وراء مفاوضاتها مع شريف مكة عن طريق ابنه الامير عبدالله ، المحافظة على مصالحها ومصالح حلفائها • وكانت تلك المفاوضات مضمنة في ثمانى رسائل ، عرفت برسائل مكماهون^(١) • وكان مكماهون هذا مندوبا ساميا لمصر يومذاك وقد عهد اليه أمر تمثيل بريطانيا في تلك المفاوضات • ولو تمت صياغة مادة تلك الرسائل بشكل اتفاقية رسمية ، لزال ولا ريب ما اكتنف تفسيرها من غموض وإبهام • ولكنها ظلت بشكل مطالبات وتحفظات ، عندما قرر الشريف الاشتراك في الحرب ضد تركيا •

ومما يؤسف له حقا ان رسائل مكماهون ، التي اعتبرت المستند الوحيد لدى العرب ، بقيت صورة ناطقة للقضايا الغامضة المهمة . فمثلا وردت فيها كلمة « ولاية » تارة بمعناها الاصطلاحي القانوني ، وأخرى بمعناها اللغوي العام . فقد استعملت مرة للولاية وثانية للمنطقة وأخرى للمقاطعة . كذلك جاء تحديد الاجزاء التي رغبت الحكومة البريطانية بعزلها عن تلك التي تعهدت بالسعى لاستقلالها ، مشوشا مرتبكا . وهذه ناحية كانت على جانب عظيم من الخطورة . ذلكم لان الحكومة البريطانية كانت تدعى دائما بان تعهداتها استثنت فلسطين ، بينما يصر العرب على خلاف ذلك . وكان في الامكان ولا ريب التوصل الى وضع تعبير او صيغة توضح ان فلسطين مستثناة من تلك التعهدات ، فلا يختلف على موضعها . ولكن مما يؤسف له بقاء موضوع فلسطين غير واضح التحديد . ومما نتحدث به احدى تلك الرسائل عزل « اجزاء سوريا الواقعة غرب ولاية (منطقة) دمشق وحمص وحما وحلب » . ومن الواضح ان ذلك الجزء لا يشمل فلسطين لانها تقع في الجنوب الاقصى لتلك المنطقة ، ولا يمكن شمول تلك الاجزاء المستثناة ، فلسطين ما لم يمدد خط حلب - حما - حمص - دمشق حتى اقصى الجنوب . ومما احتوته من اضطراب ان التحفظات البريطانية التي يقصد منها تأمين مصالح فرنسا ، لم تكن تشير الى فلسطين او لبنان .

وكتبت أولى تلك الرسائل في تموز من عام ١٩١٥ واستمرت المراسلات حتى كانون الثاني من عام ١٩١٦ . وقد اعلنت الثورة العربية في شهر حزيران من عام ١٩١٦ . على ان ثمة مفاوضات بين بريطانيا وفرنسا وروسيا كانت تجري خلال الاشهر التي سبقت تاريخ الثورة العربية ، انتهت بعقد

اتفاق سايس بيكو^(١) ، بشأن الاقطار التابعة للدولة العثمانية • وبحسب هذا الاتفاق ستنال روسيا ، بالاضافة الى القسطنطينية ، مساحات من الاراضى الضيقة فى جانبى البسفور ، والجزء الاعظم من المقاطعات التركية الاربع ، المجاورة الى الحدود الروسية • ولم تطالب روسيا بأى جزء من البلاد العربية ، كما انها اعترفت بمطالب بريطانيا وفرنسا • اما هاتان الدولتان فقد اتفقتا على ضرورة احداث :

(١) منطقة دولية فى فلسطين (تاركين جزءا كبيرا من هذا القطر مع سوريا) •

(٢) منطقة بريطانية فى البصرة وبغداد •

(٣) منطقة فرنسية فى سوريا وكيلىكا •

(٤) دولة عربية مستقلة ، أو فدراسيون عربى مستقل ، يقع بين المنطقتين

البريطانية والفرنسية مقسمة الى منطقتى نفوذ بريطانى وفرنسى •

ومع ان الفرنسيين ، كما اعترفوا بعد ذلك ، كانوا مطلعين على مراسلات

مكماهون عندما فاضتهم بريطانيا لاجل عقد اتفاق سايكس بيكو ، فان

الشريف حسين لم يكن دار بذلك الاتفاق ، وظل يجهل أمره حتى اعلان

الثورة البشفية • كذلك بقى الاتفاق سريا عندما اعلن وعد بلفور^(٢) ، فى

تشرين الثانى من عام ١٩١٧ • وقد جاء هذا الوعد نتيجة مفاوضات بدأت

فى أوائل عام ١٩١٥ ، عندما اقترح السر هربرت سموثيل • الحاق

فلسطين الى الحضيرة البريطانية ، على ان يوطن بها عدد كبير من يهود العالم •

ويتضمن وعد بلفور عدة اندفاعات تهدف الى : توجيه عطف الشعب البريطانى

الى المشاكل التى يعانىها اليهود المشردون فى مختلف الاقطار ، وتحقيق الامل

Balfour Declaration. (٢) Sykes-Picot Agreement. (١)

المتقد في قلوب اليهود للعودة الى فلسطين ؛ سيما وان الكثيرين من المسيحيين في بريطانيا والولايات المتحدة كانوا يعتقدون بأن عودة اليهود الى فلسطين ليس الا تحقيقا للربة الالهية . ومن أهداف تلك الاندفاعات الاحتفاظ بحصن للدفاع عن قناة السويس . وأخيرا - وربما كان هذا أهم الاندفاعات - الرغبة في الفوز بتأييد الرأي العام اليهودي في الولايات المتحدة وفي غيرها من الاقطار ، لقضية الحلفاء وللسياسة البريطانية على وجه التخصيص . ولم تل صيغة وعد بلفور ، التي ناقشها طويلا يهود انكلترا ويهود الولايات المتحدة ، تأييد أية طائفة منهم . لانهم كانوا يخشون ان يعتبر اليهود أجانب في الاقطار التي كانوا يعيشون فيها ، ويؤدون لها فروض الطاعة ، فتتضرر مصالحهم . ولهذا ادخلت عليه فقرة تؤمن حقوق اليهود الذين لا يرغبون في النزوح الى فلسطين . فجاءت وثيقة وعد بلفور كما يأتي :

« ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين . وستستعمل احدى محاولاتها لتسهيل تحقيق هذا الهدف . ومن المفهوم انه لن يؤت بأى عمل من شأنه ان يمنع المجتمعات غير اليهودية في فلسطين من ممارسة حقوقهم المدنية والدينية ، أو ان يضر بالحقوق والامور السياسية التي يتمتع بها اليهود في كثير من الاقطار » . وللتلطيف من حدة سخط العرب واستيائهم لما ورد في وعد بلفور ، انتدبت الحكومة البريطانية القائد هوغارث^(٢) لايصال رسالة خاصة الى الشريف حسين ملك الحجاز ، تتضمن التأكيدات التالية :

(١) ان حكومة جلالته قررت الا يخضع شعب الى سيطرة شعب آخر في فلسطين .

(٢) ان الاماكن المقدسة فى فلسطين يجب ان تخضع الى نظام خاص
تؤيده مختلف الاقطار •

(٣) ان جامع عمر لن يخضع لاية سلطة غير مسلمة •
وانتهت الرسالة بما يأتى :

« لما كان الرأى العام اليهودى فى العالم يؤيد العودة الى فلسطين ،
وما دام هذا الرأى يجب أن يظل عاملا ثابتا ، ولان حكومة جلالتة ترغب
بتحقيق هذا الحلم ، وما دام ذاك الحلم لا يتعارض وحرية السكان الموجودين ،
اقتصادية كانت تلك الحرية أم سياسية ، فان حكومة جلالتة عازمة على ازالة
أى عائق يحول دون تحقيق ذلك الهدف » •

وما ان وصلت تلك الرسالة الى الملك حسين ، وقد اقتنع بما ورد فيها
من تأكيدات ، حتى نشر البلشفيك معاهدة سايكس بيكو ، التى اكتشفت
بين الوثائق المودعة فى خزانة القيصصر • ولانهم لم يكونوا طامعين بانتهاج
سياسة استعمارية ، فقد عرضوا عن الامتيازات التى تمنحها لروسيا تلك
الاتفاقية • ونقل الاتراك نصوص المعاهدة الى فيصل بن الحسين ، وعرضوا
عليه عقد سلم منفرد مع العرب • الا ان الحكومة البريطانية سارعت بارسال
توضيح فيه الشئ الكثير من المراوغة أعاد الاطمئنان الى الملك حسين والى
غيره من قادة العرب • كذلك نقلت الى العرب تأكيدات أخرى ، فى بيانين
عن السياسة البريطانية ، نشر فى عام ١٩١٨ ؛ كان الاول جوابا لتقرير قدمه
للحكومة البريطانية سبعة من زعماء العرب فى القاهرة ، وكان الاخر بيانا
انكليزيا فرنسيا نشر فى السابع من تشرين الثانى • وقد اعلن فى هذا البيان
عند الاشارة الى سوريا والعراق ، بان احدى اهداف الحكومتين البريطانية
والفرنسية « تأسيس حكومات وطنية وادارات تستمد سلطاتها من السكان

الاهليين بطريقة الاختيار الحر » • وان الحكومتين « متفقتان على تشجيع ومساعدة تأسيس حكومات ، أهلية وإدارات وطنية في كل من سوريا والعراق » يضاف الى البيانين السابقى الذكر ان النقطة الثانية عشرة من نقاط ولسن الاربع عشرة التى وضعت القاعدة القائلة بان القوميات غير التركية التى كانت تحت الحكم التركى « يجب ان يؤكد لها بانها ستها لها الظروف المطلقة ، التى لا يعيقها عائق ، لانساء الحكم الذاتى فيها » وكان من الصعب التوفيق بين الرسائل والاتفاقات والوعود التى سبق الاشارة اليها •

وكان أحد الاسلحة التى اعتمد الالمان عليها فى الحرب ، تأييد المسلمين من غير الاتراك للسلطان بوصفه خليفة للمسلمين • فقد اعلن السلطان الجهاد - الحرب المقدسة - وأعلن الالمان بانهم اصدقاء الاسلام ، وحتى انهم اعلنوا فى دعاياتهم غير الرسمية بأن القيصر كان مسلما • وكان لدعوة الجهاد تلك ، تأثير قليل على سير الحركات الحربية اذا ما استثنينا تأثيرها على امام اليمن الذى كا فى حالة حرب متواصل مع السلطان منذ سنوات عديدة • فلما أعلنت الحرب بين تركيا والحلفاء ضم قوته الى الاتراك • ولم تجد نفعا اتصالات المقيم البريطانى فى عدن • وكان من أثر ذلك ان احتلت الجيوش التركية فى اليمن لحج وتقدمت نحو ضواحي عدن • ومع ان الجيوش التركية ارتدت قليلا عن عدن الا انها ظلت محتلة لحج حتى عقد الهدنة • وكادت ان تكون تلك القوة مبعث خطر كبير على بلاد العرب ، وعلى افريقيا لو قدر للبعثة الالمانية المرسلة عبر الحجاز الوصول اليها • وكان الغرض من تلك البعثة تنظيم الدعاية لتركيا وتهريب السلاح الى العشائر واثارتهم ضد الحلفاء • ولكن ثورة العرب فى الحجاز حالت دون وصول البعثة الى اليمن وعرقلت مساعيها •

وبعد ان اصبحت ثورة الحسين أمرا واقعا ، اتخذ الشريف حسين لنفسه لقب ملك العرب • بينما اعترفت الحكومتان البريطانية والفرنسية له بأنه اصبحت ملكا على الحجاز وحده • وبدأ الحسين حركته باخضاع مكة ثم احتل جدة وغيرها من المدن الساحلية بمساعدة نفر من البريطانيين • وبعدما هزمت الجيوش البريطانية الجيوش التركية من شبه جزيرة سيناء ، فى عام ١٩١٧ احتلت جيوشه مدينة العقبة عند رأس البحر الاحمر تاركة خلفها الجيش التركى الكبير محاصرا فى المدينة المنورة • وقد بذل الاتراك جهودا جبارة لايصال المؤن والذخائر والامدادات الى البعثة المحاصرة ، ولكن محاولاتهم ذهبت من غير جدوى لان سكة حديد الشام - المدينة المنورة كانت محاصرة من قبل قوة من الجيش العربى بأمر الامير فيصل ، ويعاونه فى عمله ت • اى • لورنس وغيره من الضباط البريطانيين •

ومع ان ثورة العرب لم تكن حاسمة كما تبدو لبعض من مؤرخى العرب ، الا انها كانت بالغة الاهمية لتأييد العرب قضية الحلفاء • ومن الغريب ان عرب فلسطين لم يساهموا مساهمة كبيرة فى الثورة ، مع ان الاحداث كانت تقضى عليهم يومئذ بان يساندوا القائمين بالثورة ويساهموا بها • بينما نجد مئات عديدة من يهود فلسطين يتطوعون للخدمة فى الجيش البريطانى ، حتى انهم الفوا كتائب للنقل عرفت بكتائب النقل الصهيونية ، التى ارسلت الى ميدان غاليلوى • يضاف الى ذلك ان الاستخبارات البريطانية استطاعت الحصول على معلومات قيمة من اليهود القاطنين خلف الخطوط التركية ، الذين خاطروا بارواحهم فى خدمة قضية الحلفاء •

وامتدح ابن السعود الشريف حسين لاعلانه الحرب على الاتراك ، وكان قد عقد معاهدة تحالف مع نائب الملك فى الهند عام ١٩١٥ . كما كان مستعدا للتعاون مع الشريف حسين ، ولكن كبرياء الحسين نحو رجل كان يعتبره محدث النعمة ، حال دون ذلك التعاون . وكانت مساعدات ابن السعود ، بمقاومته عائلة ابن الرشيد ، المناصرة للاتراك ، ذات قيمة كبيرة . ولو قدر له ان يستلم مقادير الذخيرة والاسلحة التى وعد بها ، لقام بعمل أكثر فائدة مما قام به . ويذهب البعض من المعجبين بابن السعود ، الى ان الحكومة البريطانية بمساعدتها الحسين كانت على ضلال من أمرها . غير ان اولئك المتحمسين كانوا ينظرون الى الاحداث متأثرين بما قام به ابن السعود فى السنوات التالية دون ان يراعوا الظروف الرهنة يومذاك . فمما لا ينكر ان الحسين كان أول من اقترح ايجاد جبهة موحدة ضد الاتراك . كما ان مقامه شريفا لمكة ، وحفيدا للرسول ، أعطاه نفوذا كبيرا فى العالم العربى . يضاف الى ذلك انه كان على تماس مباشر مع الاتراك ، وفى امكانه اشغالهم ، خلاف ما كان عليه ابن السعود . فنجد بعيدة عن الميدان الحربى وعائلة ابن الرشيد فى حائل تقاومه فى نفوذه .

وأخذت موقعة فلسطين الحاسمة ، التى بدأت فى ايلول من عام ١٩١٨ ، مظهرا حربيا هاما ، يتجلى بعزل الخط الحديدى الرئيسى وراء مواقع الجيوش التركية ، وتطويق الجناح الايسر للجيش التركى من قبل قوة توغلت فى الصحراء ، والتفت عليها من الناحية الشرقية . وكانت تلك القوة تتألف من جيش عربى نظامى وغير نظامى ، كما ضمت كتيبة للجزائريين بقيادة ضابط

فرنسى ، وفريق من الكورغا مع كتاب نقل مصرية اتخذت الابل وسائط للنقل . وكان لورنس وغيره من الضباط البريطانيين يديرون دفعة حركات هذه القوة . وفى اليوم الاول من شهر تشرين الاول سقطت دمشق بيد هذه القوة ؛ وفى نهاية الشهر المذكور عقدت الهدنة مع الاتراك ووقع على شروطها فى جزيرة مودروس . وترك للأمير فيصل ، الذى استقبلته دمشق بحماس منقطع النظر ، امر تأليف حكومة وطنية فى سوريا ؛ بينما احتلت فرنسا لبنان . وتركت فلسطين الى بريطانيا . على ان تبقى جميع هذه الاقطار تحت سيطرة الجنرال اللنبي القائد البريطانى العام .

- ٥ -

عندما وضعت تركيا مصيرها بيد الدول المركزية^(١) ، اضطرت الحكومة البريطانية الى اعلان حمايتها على مصر ، خشية ان تحدث فى هذا البلد اضطرابات ، ان هى أبقت الوضع فيها على ما كان عليه قبل اعلان الحرب . ولم تستطع ان تلحقها بالامبراطورية البريطانية لما لاقته من مقاومة عنيفة من حلفائها . فكان من نتائج اعلان الحماية على مصر ، ان خلع الخديوى عباس حلمى عن عرشه ، وكان يومذاك فى القسطنطينية ومواليا الى الاتراك ، وعين بدله أحد أولاد اسماعيل ، باسم سلطان مصر . وعندما اعلنت حالة الحرب مع تركيا اعلن القائد العام فى مصر بان بريطانيا تعهدت بجميع المسؤوليات اللازمة للدفاع عن مصر . وكان المفروض فى مصر ان تبقى على الحياد فى حرب استخدمت فيها قاعدة حربية هامة . والواقع ان المصريين كانوا محايدين فى شعورهم ولم تكن الحرب تعنيهم بقليل أو كثير . ومع ان الخليفة أعلن الجهاد فانهم لم يقوموا بأى عمل عدوانى

يناصرون فيه تركيا ، حتى عندما حاولت الجيوش التركية فى كانون الثانى من عام ١٩١٥ ، الهجوم على القنال فصد بسهولة .

على ان القرار القاضى بعدم دعوة الجيوش المصرية للخدمة ضد الدولة التى يدينون لها بالطاعة ، وان كان كريما فى غايته ، فيه الشئ الكثير من الانتقاص من قيمة تلك الجيوش . ومع ذلك فان البعض من المصريين تطوعوا فى خدمة الجيش العربى ، وان لم يكن عددهم كبيرا . كما سخر عدد كبير من المصريين ليقوموا بالدفاع عن القنال ، وكانوا ينوون تحت ثقل هذه المسؤولية . وقد اضطرت القيادة البريطانية فى مصر الى استعمال الضغط الشديد ، لتوفير الرجال ولتأليف كتائب العمال المصريين . فعندما طلبت السلطات العسكرية البريطانية متطوعين لتأليف تلك الكتائب ، لم يتيسر لها الحصول عليهم الا بالطرق التى اتبعت فى عهد اسماعيل ، ولم تجد نفعا الطرق التى كان كرومر يستعملها لتجنيدهم . ولم يقتصر ارسال تلك الكتائب الى فلسطين فقط ، بل ارسلت الى فرنسا حيث أبيدت عن بكرة أبيها . اما ما بقى من الفلاحين ، فقد حل بهم الفقر من جراء اغتصاب مواشيهم ودوابهم ، لاجل الاغراض الحربية مع ان بيان القيادة العامة كان يؤملهم بتعويضات سخية عما فقدوه من مواشى ودواب . وقد اقتصرت التعويضات على ما اغتصب من حيوان ، وماذا يجدى ذلك نفعا لشخص فقد أسباب رزقه . ولو كان تنفيذ الامر العسكرى شاملا لجميع الفلاحين بالتساوى لهانت المصيبة ، ولكن استعملت المحسوبية فى ذلك ، فاغتصبت حيوانات بعض الفلاحين وترك العمد المكلفون بجمع تلك الدواب حيوانات الآخرين . ومما يجب ذكره بهذا الصدد ان الاساليب التعسفية تلك لم تقم باستعمالها السلطات البريطانية ، ولو كان لديها من الرجال ما تستطيع توفيره للاشراف

على طرق الحيوانات ، لقضت على تلك المساوىء • غير ان الرأى العام المصرى كان يشعر بأن بريطانيا هى المسئولة عما حدث من مآسى فى البلاد • وقد تجمعت تلك المساوىء فانفجرت بعنف بعد عقد الهدنة بقليل •

- ٦ -

ومن الواضح ان أية قوة معادية لبريطانيا تتمركز فى العراق ، يوم ان كان تابعا لتركيا ، ستكون مبعث خطر عظيم على المصالح البريطانية فى الشرق • فاذا ما استطاع الالمان نقل غواصاتهم عبر هذا الجزء من تركيا فسيسهل عليهم ، عرقلة خطوط المواصلات البريطانية فى الخليج الفارسى • فيصبح اذ ذاك شيخ الكويت تحت رحمة الاعداء ، وكذا سيكون حال شيخ المحمرة • سيما وان امارة الاخير وان كانت مستقلة بعض الاستقلال عن ايران ، وحليفة لبريطانيا ، فانها كانت مطمئحة انظار الاعداء ، لما انشئ عليها من مصافى للنفط حديثة قامت بانشائها شركة النفط الايرانية الانكليزية بعبادان • وان أى ضغط من قبل تركيا والمانيا ، من شأنه ان يجتذب ايران الى ميدان الاعداء ، فتصبح الهند وافغانستان فى وضع مكشوف ليس من الصعب على جواسيس الاعداء اختراقه •

وكثيرا ما يظن ان الدفاع عن مصالح شركة النفط البريطانية فى ايران ، هو الباعث الى حملة العراق • مع ان الحكومة البريطانية كانت تعتقد ان النفط وحده كن لا يدعو الى ارسال حملة كحملة العراق • فثمة مصالح أخرى ذات أهمية بالغة وذات جذور تاريخية ، هى التى دعت الى تلك الحملة • وهذا ما جعل الحكومة البريطانية لا تعطى النفط فى بادىء الامر الاهمية اللازمة • ولكن سرعان ما تبدل الوضع بعد ان اصبح النفط المجهز

من حقول عبادان ، العامل الاول فى تحقيق أهداف الحرب • الامر الذى جعل الشركة تضاعف جهودها من أجل الاسراع فى مضاعفة انتاجها • لقد كان انتاج شركة النفط البريطانية الايرانية فى عام ١٩١٤ نحو من ٢٧٠٠٠٠ طن فصار فى نهاية الحرب ٩٠٠٠٠٠ طن فى العام •

عند اعلان الحرب على تركيا ، عسكرت فرقة من الجيش الهندى فى البحرين • وبعد أسبوع من القصف التركى للموانئ الروسية ، احتلت قوة هندية ميناء الفاو عند مصب شط العرب • ثم أخذت الجيوش الهندية تزحف فى وجه مقاومة عنيفة ، نحو الشمال فاحتلت بغداد فى مارت من عام ١٩١٧ ، اثناء ما جاءت أخبار ثورة كيرنسكى ، وأثيرت الشكوك حول رغبة روسيا أو مقدرتها للقيام بتعهداتها لمتابعة الحرب ، وبعد عقد صلح منفرد • وعندما وقع الاتراك اتفاقية الهدنة فى مودروس كانت الجيوش البريطانية على بعد ثلاثين ميلا من مدينة الموصل • ولم تحتل هذه المدينة الا تنفيذا لشروط الهدنة التى اعتبرت الموصل نقطة استراتيجية هامة تحول دون تهديد سلامة الجيوش البريطانية •

وكانت كلفة الميدان الحربى فى العراق باهضة ، سواء فى الرجال أم فى المعدات • وقد يتسائل البعض لماذا لم تتبع بريطانيا الطريقة ذاتها التى اتبعتها فى ميدانى الحجاز وفلسطين ، حيث قام العرب بالحركات الحربية الفعلية ، واكتفى البريطانيون بالقيام بدور المحرضين للحرب أو بدور القيادة • واذا ما كان ثمة دواعى تبرر اختلاف السياستين المتبعتين فى العراق وفى الحجاز عند أوائل الحرب ، فمن الامور المشكوك فيها وجود دواعى دعت الى اتباع سياسة واحدة فى جميع هذه الاقطار عند نهاية الحرب • فان الحجاز بلد قليل السكان ، وليس لبريطانيا فيه أية مصالح سياسية ، وأكثر

سكانه من العرب الرحل • بينما كان سكان العراق من العرب المستقرين ، يعيشون حسب نظام ادارى معقد • فعندما تداعى ذلك النظام ، بعد انسحاب الاتراك وهروب أهم الموظفين الاداريين ، اضطرت القوات المحتلة الى تعيين من يحل محلهم ، ولم يتيسر فى ذلك الوقت من يقوم بهذه المهمة من غير الانكليز • ولم تظهر فكرة استقلال العرب الا بعد ان احتل أكثر من نصف العراق • وفى الوقت الذى بلغت به جيوش الشريف حسين مدينة العقبة كنت بغداد فى قبضة الجيوش البريطانية •

وكانت رسائل مكماهون تنم عن التباين فى السياستين المتبعتين فى كل من الحجاز والعراق • فلما قامت حكومة الهند ، نيابة عن الحكومة المركزية بارسال حملة الى العراق ، فقد كانت تفكر بإمكان ضم البصرة وحتى بغداد الى الامبراطورية البريطانية ، أو الى الهند • ومع ان تطور العلاقات البريطانية العربية ، والعلاقات العربية مع الحلفاء ، قضى على تلك الفكرة ، فان الحكومة البريطانية لم تعد العراق على وجه التخصيص بالاستقلال ؛ اللهم الا ما يمكن الاستدلال عليه مما ورد فى البيان البريطانى الفرنسى ، الذى تم الاتفاق عليه فى تشرين الثانى من عام ١٩١٨ • وكانت الحرب يومذاك تلفظ أنفاسها • يضاف الى ذلك ان السلطات العسكرية فى العراق ، كانت لاسباب عسكرية صرفة ، ترفض الاقتراح القائل باستخدام عرب العراق ضد الاتراك • وفى زعم تلك السلطات ان عرب العراق هم غير الضباط العراقيين الذين كانوا يحاربون الاتراك فى الحجاز أو فلسطين • فقد كانوا قبائل تهتم بالنهب والسلب أكثر من أى شىء آخر ، وموقفهم هذا زاد فى المصاعب التى كانت تلاقيها السلطات العسكرية فى ميدان العراق •

ومع ما كانت تظهره السياسة البريطانية فى العراق من برود وتردد

في وعدها العراقيين بالاستقلال ، وفي اعلان ان الاتراك لن يعودوا الى هذا الجزء من بلاد العرب • فان الكثيرين من سكان البلاد ساهموا في الادارة المدنية أو قدموا مساعدات كبيرة باشكال أخرى • وبعد احتلال بغداد في عام ١٩١٧ نشر بيان منمق تضمن تنويعها عابرا بالامل في اعادة عظمة العرب • وانه دعى « الاشراف والشيوخ وممثلي الشعب للمساهمة في ادارة ... الشؤون المدنية » • ومع ذلك فانه لم يعط عهدا قاطعا بان الاتراك لن يعودوا الى البلاد • ولكن ما ان وقع الاتراك اتفاقية مودروس حتى أخذت الاوساط الانكليزية تمهد السبيل لاعطاء العراق وضعاً خاصاً يمثل مقاماً متوسطاً في مراحل الاستقلال •

- ٧ -

ومع ان ايران كانت محايدة بالاسم ، طوال سنى الحرب ، فانها كانت في الواقع ميدانا حروبيا واسعا • فان وجود قطعات كبيرة من الجيش الروسى في شمال ايران ، كان باعثا لهجوم تركى على ايران • وما ان دخلت تركيا الحرب حتى هاجمت ايران محتلة مقاطعة اذربيجان الايرانية • على ان الحملة البريطانية المتقدمة نحو البصرة كانت تلقى مساعدات كبيرة من شيخ المحمرة وكان تابعا ايرانيا حليفا لبريطانيا •

ومنذ اعلان الحرب ، شرعت المانيا بتنفيذ خططها لاثارة ايران ضد الحلفاء • فكانت البعثات الالمانية في عمل مستمر لاجل تحقيق تلك الغاية • الامر الذى جعل حكومة الهند تقيم سلسلة من المراكز العسكرية عند الحدود الايرانية الشرقية لتحول دون تسرب الجواسيس الالمان الى الهند أو

افغانستان • وكانت تلك المراكز تسمى بنطاق شرق ايران^(١) • ومع ذلك فإن نفرا قليلا من الالمان استطاع اختراق ذلك النطاق فبلغ مدينة كابل • غير ان الالمان عجزوا عن اقناع افغانستان بالانجراف معهم فارتدوا على اعقابهم • وكان اسموس أقدر أولئك الجواسيس ، فقد القى البريطانيون القبض عليه في جنوب ايران ، ولكنه فر وظل متخفيا حتى نهاية الحرب • وبقي مبعث اضطراب وتهديد للمصالح البريطانية مدة اختفائه •

وكان الاتراك يقدرّون أهمية النفط ، ولهذا نفذوا الى جنوب ايران ، وحرصوا رجال القبائل هناك لقطع أنابيب النفط فقطعت في مواضع مختلفة • مما اضطر الحكومة البريطانية الى ارسال قوة بريطانية الى الاهواز ، بموافقة من الحكومة الايرانية التي لهم تكن لتستطلع القيام بأكثر من تقديم الاحتجاجات الى القسطنطينية ، فكان من جراء ارسال تلك القوة ان انسحب الاتراك وراء الحدود العراقية ، فتلاشى التهديد الذي كانت مصادر النفط معرضة اليه • يضاف الى ذلك ان المساعدات القيمة التي قدمتها عشائر البختيارية ، الاصدقاء التقليديون لبريطانيا ، ضمنّت سلامة الحقول النفطية • على ان المصالح البريطانية في الاقسام الاخرى من ايران بقيت عرضة لهجمات الاعداء العنيفة • فمن ذلك ان الجواسيس الالمان قاموا باثارة قوات غير نظامية يدعمها الدرك الايراني بقيادة ضباط سويديين • وقد جاهدت تلك القوات من أجل القضاء على النفوذ البريطاني في جنوب ايران • فسيطرت على عدد من المدن دون أن تعارضها الحكومة الايرانية ، وطردت أو اسرت القناصل البريطانيين الموجودين فيها • وسرقت خزائن الكثير من فروع المصرف البريطاني الامبراطوري • وللوقوف أزاء هذا الخطر انتدبت حكومة

الهند السر برسى سايكس^(١) ليقوم بجمع قوة من المتطوعين الايرانيين بقيادة ضباط بريطانيين أو ايرانيين ، تدعمها قوة بريطانية وهندية ، يعهد اليها أمر توطيد الامن فى جنوب ايران • وكانت هذه القوة التى عرفت بـ « بنادق جنوب ايران »^(٢) قوة فعالة اتحدت مع الروس فى تشكيل سلسلة تخترق ايران للحيلولة دون تسرب الجواسيس الالمان الى الناحية الشرقية من البلاد • ولم يقدر لتلك السلسلة البقاء طويلا لان القسم الشمالى منها تداعى على أثر قيام الثورة البلشفية •

وكان من نتائج عقد الهدنة بين تركيا وروسيا البلشفية فى كانون الاول عام ١٩١٧ ، ان اضطرت بريطانيا الى ارسال جيشين الى ايران اثبتت الايام انها لم تقم بأى عمل حربي يذكر • ارسل الجيش الاول من بغداد الى باكو بقيادة الجنرال دنسترفيل^(٣) ، وارسل الآخر بقيادة الجنرال مليس^(٤) . وكان هدف هذا الجيش تقوية النطاق المضروب حول شرق ايران ، وتوسيعه حتى مشهد فمرو ، المدينة الواقعة على الخط الحديدى الممتد حتى بحر قزوين • وقد طلب الى الجيشين ان يظما جهودهما الى العناصر المقاومة للتقدم الالمانى التركى ، وللقضاء على حركات جواسيس الاعداء ، وعلى ما يشونه من دعايات • وكانت مهمة جيش دنسترفيل ان يحول دون وقوع حقول نفط باكو ومصافيه بأيدي الاتراك أو الالمان • اما جيش مليس فكان مسؤولا عن تأمين النقل البحرى فى بحر قزوين • فلما بلغ دنسترفيل مدينة باكو وجد الوضع مضطربا ، ولم يستطع ان يقوم بأى عمل فعال ، فاضطرت جيوشه الى الانسحاب نحو ايران ؟ وبقيت معسكرة هناك حتى عام ١٩٢١

South Persia Rifles.	(٢)	Sir Percy Sykes.	(١)
General Malesen.	(٤)	General Dunsterville.	(٣)

عندما قضت الظروف السياسية والاقتصادية بانسحابها * على انها ساهمت في القضاء على الحركات التي قامت بها جيوش الحكومة الروسية الذين ساندوا ثورة نشبت في مقاطعة جيلان ضد الانكليز والاييرانيين معا .

وبعد انسحاب جيش دنستر فييل من باكو اتصل جناحه الغربى مع الاثوريين (النساطرة) والارمن ، الذين كانوا يقاومون بشدة القوات التركية في شمال ايران وفي تركيا * وقد شردهم الجيش التركى قبل وصول النجيدات والسلاح الذى وعدهم به الجنرال دنستر فييل * فهرب من بقى منهم مع عوائلهم الى العراق ، وكان الجيش البريطانى يزودهم بالزاد والطعام * وقد مات الكثيرون منهم وهم فى طريقهم الى العراق ، وبلغ العراق ما يقرب من خمسين الف لاجىء تكفلت الحكومة البريطانية أمر اعاشتهم لعدة سنوات * اما الارمن فقد تم نقل من أثر السفر منهم الى باطوم فى ارمينيا السوفياتية على نفقة الحكومة البريطانية ، بينما ظل الاثوريون فى العراق ليكونوا معضلة لانفسهم ولغيرهم دامت بضع سنوات .

ولا تذكر حملة الجنرال مليسون الا بما أثاره البلشفيك حولها من دعايات لا صحة لها * فقد ادعوا بان قائدها مسؤول عن مقتل ستة وعشرين ضابطا روسيا ارسلوا لضم القوقاز ومنطقة بحر قزوين الى القضية البلشفية * فأسرتهم قوات الروس البيض المسيطرة على كراستوفورسك واعدوا رميا بالرصاص * فعندما سمع الجنرال مليسون بصدور حكم الاعدام حاول جهده تخليصهم من ذلك الحكم والاكتفاء باسرههم ولكنه فشل فى جميع محاولاته .

- ٨ -

ودامت الحرب مع تركيا أربع سنوات * ومع ان اندحار تركيا كان

كاملا فان الصلح معها لم يتم الا بعد مضي مدة طويلة • ذلك لان الحلفاء لم يتفقوا فيما بينهم على شروط الصلح معها • وقد احتلت الجيوش البريطانية والفرنسية والايطالية خلال تلك الفترة مدينة القسطنطينية • وفي شهر ايلول من عام ١٩١٩ تم الاتفاق بين المستر لويد جورج والمستر فنزيلوس ، على ان تقوم الجيوش اليونانية باحتلال مدينة أزمير تحميها نيران مدافع الاسطول البريطاني والفرنسي والأمريكي • وقد رافقت هذا الاحتلال اعمال وحشية واعتداءات فضيعة نتيجة للعداية التاريخية بين اليونان والأتراك • فحضر ذلك الاحتلال وتلك الاعتداءات ، فئة من الأتراك بقيادة مصطفى كمال (كمال اتاتورك) للقيام بالحركة الوطنية التركية • فكانت ثورة على النظام العثماني المستسلم لاعداء البلاد ، قرر قادتها وأقطابها مقاومة أية محاولة لقسمة آسيا الصغرى أو تراقيا • بينما كان السلطان مستسلما الى الحلفاء ، متعاوناً معهم أبعد حدود التعاون • وفي مايس سنة ١٩٢٠ وقع ممثله معاهدة سيفر^(١) التي اشترطت على تركيا ان تنفض يدها من الاقطار العربية ، التي كانت تابعة الى الامبراطورية العثمانية ؛ ومما يستحق الذكر ان قادة الحركة الوطنية وافقوا على هذا الشرط • كذلك حتمت معاهدة سيفر تسليم تراقيا الشرقية وغاليبولي وأزمير الى اليونان ، كما منحت فرنسا وايطاليا بالاتفاق مع بريطانيا مناطق نفوذ في آسيا الصغرى • ومما ورد في تلك المعاهدة الجائرة البحث عن امكانية تكوين دولة كردية تضم الولايات الكردية في الدولة العثمانية •

لقد ولدت معاهدة سيفر ميتة • فان ما احتوته من شروط جائرة عجلت في تحويل الرأي العام التركي من السلطان الى الحكومة الوطنية التي تألفت في داخل البلاد وسارعت روسيا السوفياتية الى الاعتراف بها • وجابه

الجيش اليوناني المحتل للأراضي التركية مقاومة عنيفة غير متوقعة أدت به إلى الانسحاب من الأراضي التركية . وبالوقت ذاته هاجم المسلمون الهنود بشدة سياسة الحكومة البريطانية في معاونتها اليونان وتركها تركيا . وفي هذا الأثناء أي في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٠ ، تم الاتفاق بين فرنسا والحكومة الوطنية التركية على وضع نهاية للخلاف القائم بين فرنسا وتركيا ، وعلى انسحاب الجيوش الفرنسية من كليزيا . كما عقدت إيطاليا اتفاقاً مماثلاً يقضي بانسحاب قواتها من الأجزاء المحتلة من آسيا الصغرى ، وبمساندة المطالبين التركية عند عقد معاهدة الصلح ، ولاسيما منها تلك المطالبين المتعلقة بإعادة إزمير وتراقيا إلى الحضيرة التركية .

وظلت الجيوش البريطانية وحدها معزولة في هذا القطر ، بعد أن وقفت كل من فرنسا وإيطاليا موقفاً محايداً ، بل مؤيداً للمطالبين التركية . وهزم الوطنيون اليونان في آب من عام ١٩٢١ ، وأخرجت الجيوش المعادية من إزمير ، وسحبت فرنسا وإيطاليا جيوشهما من الدردنيل ، تاركة الجيوش البريطانية في وجه الجيوش التركية المتقدمة ، وكادت تستعمر نار حرب أخرى بين الجيوش التركية والجيوش البريطانية ، للموقف الصلب الذي وقفته القيادة البريطانية العامة . ولكن من حسن الحظ عقدت الهدنة بين تركيا وبريطانيا في مودانيا ، وعقدت معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا في عام ١٩٢٤ بمدينة لوزان . وبحسب تلك المعاهدة تنازلت الحكومة الوطنية التي أصبحت الحكومة التركية الوحيدة عن جميع مطالبها الإقليمية في الأقطار العربية ، عدا مدينة الموصل ، التي تركت لمفاوضات أخرى . وألغيت الامتيازات الأجنبية ، كما ألغى مجلس الديون العثمانية . وما إن فازت تركيا بتلك الشروط الممتازة ، حتى سارعت الحكومة الوطنية بإلغاء الخلافة

العثمانية ، وخلعت السلطان وأعلنت النظام الجمهورى فى البلاد • وقد أغضبت تلك الخطوة المسلمين من الهنود ، وأثارت استيائهم ؛ مع ان شدة تحمس المسلمين للحركة التركية وإخلاصهم للخلافة كان له بعض التأثير فى توجيه مفاوضات الصلح مع تركيا •

وفى الوقت الذى وقعت به معاهدة لوزان ، تمت محاولة إنهاء قضية المضائق بالتوقيع على ميثاق خاص بها • وكانت محتويات هذا الميثاق :

١ - جعل البسفور وجزر بحر مرمرية عدا جزيرة واحدة وبعض جزر بحر ايضا مناطق غير عسكرية •

٢ - تأليف لجنة للمضائق مسؤولة أمام عصبة الأمم وحدها •

٣ - اعطاء ضمان دولى لحرية الملاحة فى المضائق وسلامة المنطقة غير العسكرية بجميع الوسائل التى يستطيع مجلس الجامعة التوصل بها فى حالة الاعتداء عليها أو فى حالة اعلان حرب بين دول متحالين •

- ٩ -

حالما تم التوقيع على هدنة مودروس مع تركيا ، تقدمت الاقطار العربية مطالبة بتحقيق الوعود والتعهدات التى تعهدت بها دول الحلفاء • غير ان الفرنسيين لم يكونوا مستعدين للتنازل عن مطالبهم فى الشرق الاوسط ، مع ان الجيوش الفرنسية لم تقم بحركات حربية واسعة فى ميادين هذه البقعة من المعمور • ومما زاد فى تغتهم ، انهم لم يشتركوا برسائل مكماهون ، ولم تكن ثمة مسؤوليات عليهم نتيجة لتلك الرسائل ؛ يضاف الى ذلك انهم كانوا ، نتيجة لاتفاقية سايكس - بيكو ، يلعبون بورقتين هامتين أثرت أشد الاثر فى الخطط البريطانية ، هى الموصل وجزء من فلسطين • والى هاتين

الورقتين يعزى اطلاق يد الفرنسيين في سوريا • فلكى تحتفظ فرنسا بسوريا
سمحت بضم الموصل الى العراق كما تنازلت عن مطالبها في فلسطين •
ولم تعد زيارة فيصل لمؤتمر السلام ، المنعقد بباريس في أوائل عام
١٩١٩ ، بالفائدة المرجوة على العرب ، فقد كان البريطانيون منشغلين
بمشاكلهم ، كما كان الفرنسيون يناوئون مطالب فيصل • فشجع هذا
الوضع اليهود لان يغتصموا الفرصة محاولين الحصول على اعتراف من فيصل
بمطالبهم في فلسطين • وقد أدت محاولتهم تلك الى توقيع اتفاق في الثالث
من كانون الثاني من قبل فيصل نيابة عن مملكة الحجاز العربية ، والدكتور
وايزمان نيابة عن المنظمة الصهيونية • ومما جاء في تلك الاتفاقية اقامة علاقات
دبلوماسية بين « دولة العرب وفلسطين » والسماح بالهجرة الى فلسطين •
(وبهذه المناسبة نود ان ننوه بأن تلك الاتفاقية نصت أيضا على أن أى خلاف
ينشأ بين الطرفين المتعاقدين يجب ان يعرض على الحكومة البريطانية للفصل
فيه) • ومما يجب الا يغفل عنه ان الاتفاقية ذلت بتوقيع فيصل مع الملاحظة
التالية « انه يوافق على الاتفاق في حالة واحدة فقط وهى اذا ما حصل العرب
على استقلالهم ، كما هو معروف في المذكرة المقدمة الى وزارة الخارجية
في الرابع من كانون الثاني » ، ولا بد ان تكون « الرابع من كانون الثاني »
سهوا يعنى به « الاول من كانون الثاني » ، وهو التاريخ الذى قدم فيه فيصل
مطالبه الى مؤتمر السلام ، والتي تضمنت ان الدول يجب الا تتخذ أى قرار
يحول دون تحقيق الاتحاد بين سوريا والعراق وفلسطين ، بادارة حكومة
ملكية واحدة ، ذلك الاتحاد الذى يجب ان يضمن للعرب ازالة الحدود
بين هذه الاقطار ، وتوحيد طرق المواصلات وأسبابها ، واتباع نظام تعليمي
موحد • وكما لا يخفى ان هذه المطالب لم تتحقق الامر الذى يجعل اتفاق

فـيـصـل - وائـزـمـان كـأن لـم تـكـن •

وحدد مؤتمر سان ريمو المنعقد في نيسان ١٩٢٠ ، بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة أوضاع الاقطار العربية • فقد عهد الى بريطانيا أمر الانتداب على العراق والى فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان • كما عهد الى بريطانيا أيضا الانتداب على فلسطين شريطة ان تحقق وعد بلفور • وأثارت هذه القرارات الاستياء الشديد في سوريا ، ذلكم لان لبنان كان تحت الادارة الفرنسية منذ هدنة مودروس ، بينما كانت سوريا تتمتع بحكم وطني على رأسه فيصل ، وان كان البريطانيون يشرفون اشرافا غير مباشر على تلك الحكومة • يضاف الى ذلك ان المؤتمر السوري العام سبق له ان اختار فيصل ملكا على سوريا - وهي تشمل لبنان وفلسطين - على ان ذلك القرار لم تعترف به الحكومتان البريطانية والفرنسية • وقد بلغ الاستياء شدته لدى مستشاري فيصل من العرب ، حتى دفعهم الى ان يعلنوا الحرب على فرنسا • ومما زاد في الوضع تعقيدا استياء الفرنسيين من الحركات الوطنية المتطرفة • فلما هاجمت بعض العناصر العربية ، المخافرة الفرنسية على الحدود اللبنانية ، بعث المندوب السامي الفرنسي في تموز من عام ١٩٢٠ احتجاجا شديدا للتهجة الى فيصل ، واعقب ذلك اعلانه الحرب بنطاق واسع على الحكومة الوطنية في سوريا ادت الى احتلال الفرنسيين مدينة دمشق والى انسحاب فيصل من البلاد •

- ١٠ -

وأثرت هذه الاحداث بالاوضاع القائمة في العراق • فبعد ان انسحب فيصل من سوريا ، لم يلق الضباط العراقيون مستقبلا لهم الا في بلادهم

- ١٠٨ -

الاصلى • وكان العراق اثناء ذلك فى اضطراب عام ، من جراء عجز الادارة القائمة للتوصل الى تسوية ترضى ابناء البلاد • ومرد ذلك العجز تباین وجهات النظر بين البريطانيين والفرنسيين والامريكان • يضاف الى هذا ان الادارة القائمة فى العراق كانت تختلف بوجهة نظرها مع الحكومة البريطانية • فقد كان كبار الضباط البريطانيين فى ادارة العراق يرغبون فى ابقاء الاشراف البريطانى على الدولة العراقية ، بينما كانت الحكومة البريطانية ، التى هى على اتصال وثيق بالثورة العربية وعلى بينة من الوعود الكثيرة التى اعطيت الى العرب ، ترى ضرورة تقديم البلاد خطوة واسعة نحو الاستقلال •

وكان الضباط العراقيون الذين اشتركوا بالثورة العربية ومن بينهم الشخصيتان البارزتان نوري باشا السعيد وجعفر باشا • يرغبون فى استلام ادارة البلاد حالا ، تلك السياسة التى لم يكن يرضى عنها القائد العمام البريطانى ، الذى كان ولا يزال مسؤولا عن استتباب الامن والنظم فى البلاد ، والدفاع عن مدينة الموصل من أى اعتداء تركى محتمل الوقوع •

ففى اواسط عام ١٩٢٠ عندما تأزم الوضع بين كلى الطرفين ، استدعى السر برسى كوكس^(١) ، الذى كان يومذاك وزيرا بريطانيا فى بلاط طهران ، وكان قبل ذلك الحاكم السياسى والادارى فى العراق ، استدعى الى لندن لكى تعهد اليه وظيفة الحاكم العام فى العراق • ومما يؤسف له ان بضعة أشهر مضت ، قبل ان يصل الى بغداد حاملا معه سياسة معينة ، حدثت خلالها اضطرابات فى جميع انحاء البلاد • وكان القائمون بالثورة مزيج من ضباط العرب ، الذين اشتركوا مع البريطانيين فى محاربتهم الاتراك فى الحجاز وفلسطين ، ومن ابناء عشائر الفرات ، الذين عرفوا بالتمرد والفوضى والذين

ثاروا على حكومة العراق الوطنية في عام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ • لقد كانت ثمة عوامل اثارت استياء ابناء البلاد • فمن ذلك ان البريطانيين كانوا صارمين في تطبيق النظام ، وفي جباية الضرائب ، صرامة لم يألها السكان في عهد الحكم التركي • يضاف الى ذلك ان انسحاب الجيوش البريطانية من البلاد شجع العشائر على التمرد والعصيان لغرض السلب والنهب • ومما لا ريب فيه ان جزءا من المساعدات المالية التي قدمتها الحكومة البريطانية الى الملك حسين صرف في اذكاء نار الثورة في البلاد • ولا تعنى هذه العوامل ، ان الدعوة الى الاستقلال لم تكن منبعثة عن قلوب مؤمنة ، وانها لم تلق استجابة شاملة من مختلف ابناء البلاد • ومع هذا فقد تم القضاء على الثورة ، وجمع الجيش البريطاني ٦٥٠٠٠٠ بندقية من الثوار ، عقابا لهم على ثورتهم • وقد ساعد هذا التدبير في استتباب الامن والاستقرار في البلاد خلال السنوات التالية •

وفي تشرين الاول من عام ١٩٢٠ وصل السر برسي كوكس الى بغداد ، واستطاع اقناع نقيب بغداد لان يكون رئيسا لمجلس الدولة الذي اعتبر بمثابة حكومة مؤقتة • وتطور هذا الكيان خلال السنوات العشر التالية حتى اصبح نظاما حكوميا وطنيا مستقلا استقلالاً تاما •